جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الدلالات البلاغية للمشاكلة في أحاديث الترغيب والترهيب

إعداد

د/ حمدي علي أبو المحاسن البهوي
أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنصورة

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
(الجزء الأول (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة(ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

الدلالات البلاغية للمشاكلة فـــي أحاديث الترغيب والترهيب

حمدي علي أبو المحاسن البهوي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنصورة ـ مصر

البريد الإلكتروني: hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

الملخص:

أسلوب المشاكلة من الأساليب البلاغية التي تمثل ظاهرة بيانية في الحديث الشريف، وقد اقتضتها مقامات وسياقات بعينها، واكتستها معانٍ نبوية بذاتها، فالمشاكلة صبغٌ بديعي له من الظلال الدلالية والخَصوصيات الأسلوبية ما يجعله متميز القَسَمات والملامح؛ ففيها يُذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، فالوقوع في الصحبة هو العلاقة بين اللفظ ومُشَاكِلِهِ. هذا، وقد جاءت دراستي هذه تحت عنوان: [الدلالات البلاغية للمشاكلة في أحاديث الترغيب والترهيب] إذ اختارت نماذج، تمثل الاتجاه الموضوعي للدراسة، وذلك على سبيل الاستقراء الناقص. واقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس. وبيان ذلك كما يلي: المقدمة، ثم المبحث الأول: الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترغيب. ثم المبحث الثاني: الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترهيب. ثم الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس. أما عن المنهج، فقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الدلالات، البلاغية، للمشاكلة، أحاديث، الترغيب، الترهيب.

The Rhetorical Connotations of The problem in The Hadiths of Intimidation and Intimidation.

Hamdi Ali Abu Al -Mahasin Al -Bahwi .
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt
Email: hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

Abstract:

The method of the problem is one of the rhetorical methods that represents a graphic phenomenon in the noble hadith, which is required by specific shrines and contexts, and it was set by prophetic meanings in itself. In it, the thing is mentioned by the word other; To fall into his accompaniment or appreciation, falling into companionship is the relationship between the word and its problems. This, and this studies came under the title: [The rhetorical connotations of the problem in the hadiths of prohibition and intimidation] as it chose examples of them, representing the objective direction of the study, as a matter of imperfect induction. The nature of this study requires that it come out in the introduction, preliminary, and research, conclusion, and indexes, and explain this as follows: the introduction, then the first topic: the rhetorical connotations of the problem in the place of entitlement. Then the second topic: the rhetorical connotations of the problem in the place of intimidation. Then the conclusion, and it has the most important search results, then indexes. As for the curriculum, this study followed the descriptive analytical approach.

Keywords: ***Smalls , Rhetorical , For The Problem , Hadiths , Prohibition , Intimidation.***

مقدمـــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبعد:

فإن خدمة الحديث النبوي الشريف لا تقتصر على حفظ أسانيده ومتونه، وشرح معانيه، وجرح وتعديل رجاله؛ إنما تمتد إلى آفاق رحبة من بيان بلاغته، وتعمق أسرار صور معانيه، والوقوف على دلالات مبانيه؛ وصولًا إلى مرادات النفس النبوية الشريفة، وما تحدَّرت به من شريف المعاني.

وأسلوب المشاكلة من الأساليب البلاغية التي تمثل ظاهرة بيانية في الحديث الشريف، والتي اقتضتها مقامات وسياقات بعينها، واكتستها معانٍ نبوية بذاتها، فالمشاكلة صبغ بديعي له من الظلال الدلالية، والخَصوصيات الأسلوبية ما يجعله متميز القَسَمات والملامح؛ ففيها يُذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، فالوقوع في الصحبة هو العلاقة بين اللفظ ومشاكِله.

والمشاكلة ليست استعمالًا للفظ في معناه الذي وضع له في أصل الوضع اللغوي، وليست تكرارًا، ولا جناسًا، ولا مجازًا لغويًا، بأن استعمل فيها اللفظ في غير ما وضع له؛ إنما هي صبغ بلاغي بديع، ولون بياني فريد، له شخصيته التي تميزه عن غيره من أساليب البلاغة.

إن المشاكلة مجتمع ألوان شتى من البلاغة، ومن رحم هذه الألوان البلاغية تُخلق المشاكلة، فالمشاكلة عبارة عن صور بلاغية متداخلة، تتشابك أغصانها، وتتداخل خيوطها؛ لترسم في قلب المتلقي وعقله ووجدانه صورة مكتملة الخلق، رسمتها يد صَناع، يدرك كيف تُخلق الصور في أحسن تقويم.

لقد شيدت المشاكلة على قواعد المجاز، وفي ابتناء المشاكلة على المجاز، ما جعلها تختصر الكلام اختصارًا، فوراء صورتها اللفظية تستتر صور لمعانٍ كثيرة،

تتلاطم بين مرفأي الصورة اللفظية، وكلما أطال المتلقي الوقوف والتأمل للصورة اللفظية تحدَّرَت بمعانٍ جديدة.

إن المشاكلة رداءٌ غير مألوف تكتسيه المعاني، وفي ذلك ما يبعث في النفس المتلقية دَهَشًا وعجبًا، مما يجعل الخاطر يسافر راكضًا وراء أَكَمَة أسلوب المشاكلة؛ بحثًا عن سر اعتبارها دون غيرها من صور المعاني. ومما لا يخفى، أن من غايات البلاغة، تلك الإثارة التي تعتري النفس المتلقية، والتي سببها أنَّ المعنى اتخذ لنفسه رداءً غير مألوف من صور المعاني. ولا شك أنَّ الإثارة التي تُحدثها المشاكلة، تمهد الطريق الذي تتهادى على بساطه المعاني نحو القلب، فتسكن في مطاويه، وتنسرب في نواحيه.

هذا، وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور، أهمها:

- الوقوف على المقامات والسياقات، التي اقتضت اعتبار البيان النبوي لخَصوصية المشاكلة دون غيرها من طرائق البيان.
- معرفة الأسرار البلاغية المستكنة وراء أَكَمَة أسلوب المشاكلة في البيان النبوي الشريف.
- الوقوف على أثر أسلوب المشاكلة في أداء المعاني النبوية الشريفة.
- الكشف عما تتفرد به المشاكلة من خَصوصيات دون غيرها من طرائق البيان.

أما عن الدراسات السابقة: فلم أقف على أي دراسة بلاغية تناولت هذا الموضوع، في حدود دائرة اطلاعي.

- وتكمن مشكلة البحث: في أن المدونة الحديثية بها أحاديث نبوية، اعتبر البيان النبوي فيها خَصوصية المشاكلة دون غيرها رداءً لمعانٍ بعينها، حيث ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا.

وتهدف الدراسة الإجابة عن أسئلة، أهمها: ما المقامات والسياقات التي اقتضت اعتبار البيان النبوي لخَصوصية المشاكلة؟ وما سر إيثار البيان النبوي للمشاكلة دون غيرها من الأساليب البلاغية؛ لنقل معانٍ نبوية بعينها للمتلقين؟ وما المعاني النبوية التي اكتستها المشاكلة؟ وإلى أي حدٍّ أثَّرت تلك المشاكلات النبوية في المتلقين إقناعًا وإمتاعًا؟ وما الدلالات البلاغية التي أثمرتها تلك المشاكلات النبوية؟ وما علاقة تلك المشاكلات بالمجاز؟

كما تهدف الدراسة إلى: بيان الدلالات البلاغية للمشاكلات النبوية في مقامي الترغيب والترهيب.

هذا، وقد جاءت دراستي هذه تحت عنوان: [الدلالات البلاغية للمشاكلة في أحاديث الترغيب والترهيب] إذ اختارت نماذج تمثل الاتجاه الموضوعي للدراسة، وذلك على سبيل الاستقراء الناقص.

واقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، وبيان ذلك كما يلي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، وأهدافه، وكيفية تقسيمه، والمنهج المتبع في دراسته.

ثم **المبحث الأول**، وعنوانه: الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترغيب.

ثم **المبحث الثاني**، وعنوانه: الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترهيب.

ثم **الخاتمة**، وفيها أهم نتائج البحث، ثم **الفهارس**.

أما عن المنهج، فقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هذا، وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في الميزان يوم اللقاء الأكبر، إنه على كل شيء قدير، اللهم آمين.

مهاد نظري

تحرير المصطلح والدلالات البلاغية للمشاكلة

أولاً- تحرير المصطلح:

- حقيقة المشاكلة: جاء في اللغة: "المُشاكَلَةُ: المُوافَقَةُ، يُقالُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يُشاكِلُكَ، أَي: لَا يُوافِقُكَ، كالتَّشاكُل"(١).

أما في الاصطلاح: فقد تنبه الفراء لمصطلح المشاكلة، وذلك عند تعرضه لقول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة، جزء من الآية رقم: ١٩٣]، يقول: "فإن قال قائل: أرأيت قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أعدوان هُوَ وقد أباحه اللَّه لهم؟ قُلْنَا: ليس بعدوان في المعنى، إنما هُوَ لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة، جزء من الآية رقم: ١٩٤] فالعدوان من المشركين فِي اللفظ ظلم فِي المعنى، والعدوان الَّذِي أباحه اللَّه وأمر به المسلمين إنما هُوَ قصاص، فلا يكون القصاص ظلمًا، وإن كان لفظه واحدًا. ومثله قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى، جزء من الآية رقم: ٤٠]، وليست من اللَّه على مثل معناها من المسيء؛ لأنها جزاء"(٢). ومن بعد الفراء أخذ مصطلح المشاكلة

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح/ جماعة من المختصين، (٢٩/ ٢٧٦)، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.

(٢) معاني القرآن، الفراء، تح/ أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، (١/ ١١٦)، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط الأولى، بدون تاريخ.

يتطور، حتى استوى على سوقه على أيدي البلاغيين المتأخرين، فقد عرفها الخطيب القزويني، بقوله:

"هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته، تحقيقًا أو تقديرًا"(١).

وقد شرح العصام تعريف مصطلح المشاكلة شرحًا دقيقًا؛ إذ استطاع أن يؤكد أن التعريف جامع لأفراد المعرف، مانع لغير أفراد المعرف من الدخول فيه، يقول: "(وهو) في الاصطلاح (ذكر الشيء بلفظ غيره) وذلك يشمل كل مجاز وكناية، فقيده بقوله (لوقوعه في صحبته) فاللام للوقت، أي: وقت وقوعه في صحبته، وأما ذكر الشيء بلفظ غيره، لا في هذا الوقت، فلا يسمى مشاكلة... والوقوع في صحبة الغير ليس من العلاقات المصححة، والعلاقة قد تكون خفية فلم تظهر في بعض الأمثلة؛ لخفائها على الفحول...فتارة قالوا: بأن القول بالمشاكلة أثبت قسمًا آخر سوى المجاز والكناية، وتارة بأنهم قالوا: أثبت كون الوقوع في صحبة الغير علاقة المجاز"(٢).

ثانياً ـ الدلالات البلاغية للمشاكلة.

إن المشاكلة لها خَصوصيات بلاغية ذاتية ليست لغيرها، ومن ثَمَّ لها مقامات تستدعيها بل وتلح في طلبها، ولها معانٍ تكتسيها دون سواها؛ لأنها الملائمة في نقل تلك المعاني من نفس المتكلم إلى نفس المتلقي.

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، الشيخ/ عبد المتعال الصعيدي، (ص٥٨٨)، مكتبة الآداب ـ القاهرة، ط السابعة عشرة، ٢٠٠٥م.

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين الحنفي، تح/ عبد الحميد هنداوي، (٢/ ٣٨٨)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، بدون تاريخ.

ولعل أبرز خَصوصيات أسلوب المشاكلة أنه مجمع ألوان بلاغية، تمتد أغصانها المتشابكة في آفاق علوم البلاغة الثلاثة؛ فهو ينتمي أصالة إلى علم البديع ـ كما قرر سدنة الفن . . كما أنه يُبنى على الاستعارة؛ ولا تنافي بين الاستعارة والمشاكلة[١]، أو المجاز المرسل. كما أن المشاكلة التحقيقية تكرار لفظي؛ فلفظة المشاكلة ذكرت بلفظ غيرها؛ لوقوعها في صحبتها.

وفي المشاكلة سبك تركيبي، وتماسك نصي؛ فعن طريقها تشتد عُرَى الكلام، وتقوى الروابط بين أجزائه، وذلك عن طريق رحم المشاكلة التي تؤلف بين لبنات البناء التركيبي للكلام، إنها روح تسرى في جسد الكلام، وتتسلل بين مطاويه، ولا يستطيع إليها سبيلًا إلا من أوتي حظًا من البيان.

كما تتجلى بلاغة أسلوب المشاكلة في ذلك التماثل الصوتي على مستوى بنية الصورة اللفظية، ففي المشاكلة لفظتان صورتهما واحدة، ومعناهما مختلفان، ذلك التماثل الذي لا يلبث طويلًا حتى تتبدى من وراء غمامته صورة المشاكلة، التي تنهلُّ من مزنها الدافق دلالات بلاغية ما كان يمكن أن تؤدى عن طريق سوى المشاكلة. إن للتكرار وظائف فنية وفكرية في غاية الأهمية، وأول ما يبدو منها: التنغيم الموسيقي بتكرار الأصوات، وثانيهما: في دلالة الكلام بتعميق الفكرة المقصودة في نفس المتلقي، ثم التوكيد الذي يفيد لفت أنظار المتلقي لأهمية الفكرة المطروحة[٢].

---

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، (مطبوع ضمن شروح التلخيص)، (٤/ ٣١٥)، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، د/ نور الدين عتر، (ص٣٤٨)، دار السلام ـ القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

كما أن "المشاكلة... تنقل المعنى إلى لباس لـه غير مألوف، فيحدث عجبًا أو طربًا"[١]، وهكذا الأساليب البديعية تتناول النكات البلاغية المستغربة، يقول: السيد الشريف: "يسمى البديع بديعًا؛ لكونـه باحثًا عن الأمور المستغربة"[٢]، فعن طريقها يعتبر المتكلم مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة، وذلك لمراعاة المقام. إن المشاكلة تجعلنا أمام لفظ ذكر بلفظ غيره، مما يستلفت ذهن المتلقي، ويثير تساؤلاته، ويجعله يُرجع البصرَ مرةً بعد مرةٍ في ذلك اللفظ الذي ذكر بلفظ غيره، لا على سبيل المجاز أو الكناية، إنما على سبيل المشاكلة. وهنا تستنفر المشاكلة العقل والفكر والوجدان؛ ليمضوا معًا مرتحلين؛ لإدراك الدلالات البلاغية وراء اعتبار المتكلم لخَصوصية المشاكلة.

وهنا يثار سؤال: هل المشاكلة حقيقة أم مجاز؟

لقد اختلفت كلمة البلاغيين في ذلك على عدة أقوال:

فمنهم من قال: إن كل مشاكلة استعارة، كالسبكي الذي ذكر أن : كل مشاكلة استعارة، والاستعارة لا تنافي المشاكلة[٣].

ومنهم من قال: إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة. فقد نقل الشيخ/ عبد المتعال الصعيدي ما ذكر من أن: المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة، ورد ذلك القول، يقول: "وقد قيل: إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة، والحق: أنها

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، (ص٥٩٠) .

(٢) حاشية السيد الشريف،(مطبوع بهامش: كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح)، (ص٤١٧)، ط المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة، ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (مطبوع ضمن شروح التلخيص)، (٤/ ٣١٥).

ليست منه؛ لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين، كما في المشاكلة، فهي تصح بمجرد وقوع اللفظ في صحبة أخر، ولو لَمْ توجد علاقة بين مدلوليهما"(١).

ومنهم من قال: "المشاكلة قسم ثالث لا حقيقةً ولا مجازًا، أما كونها غير حقيقة فظاهر؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، وأما كونها غير مجاز فلعدم العلاقة المعتبرة؛ لأن الوقوع في الصحبة ليس من العلاقة ولا يرجع إلى المجاورة المعتبرة علاقة"(٢).

والذي أراه: أن المشاكلة أسلوب بديعي يُبنى على المجاز، وليس مجازًا، فالفارق بين المشاكلة والمجاز، أن المشاكلة لفظ مجازي ذُكر في صحبة غيره، ولولا تلك الصحبة لكان مجازًا. وفي ابتناء المشاكلة على المجاز، ما جعلها تختصر الكلام اختصارًا، فوراء صورتها اللفظية تستتر صور لمعانٍ كثيرة تتلاطم بين مرفأي الصورة اللفظية، وكلما أطال المتلقي الوقوف والتأمل للصورة اللفظية تحدَّرت بمعانٍ جديدة.

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، (ص٥٩٠).

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، محمد الدسوقي، تح/ عبد الحميد هنداوي، (٤/ ٣٥)، المكتبة العصرية ـ بيروت، بدون تاريخ.

المبحث الأول

الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترغيب

كل مقامٍ يقتضي مقالًا بعينه، يطلبه ويستدعيه، والمقام والحال بمعنىً واحد، وماهيتهما: الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية ما[١]، ومن المقامات التي دعت لاعتبار خَصوصية المشاكلة مقام الترغيب.

وعن معنى الترغيب يقول الزبيدي: "رَغِبَ إليه (ورَغَّبَهُ) تَرْغِيبًا: أَعْطَاهُ مَا رَغِبَ،... وَدَعَا اللَّهَ رَغْبَةً ورَهْبَةً،... (والرَّغِيبَةُ: الأَمْرُ المَرْغُوبُ فِيهِ) يقالُ: إِنَّهُ لَوَهُوبٌ لكلِّ رَغِيبَةٍ،...(و) الرَّغِيبَةُ من (العَطَاءِ: الكثِيرُ)، والجمعُ: الرَّغَائِبُ"[٢].

ولا شك أن المعاني النبوية الشريفة يمكن أن تؤدَّى بطرق بلاغية شتى، ولكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آثر أسلوب المشاكلة دون غيره في مقامات بعينها؛ وذلك لما للمشاكلة من خَصوصيات بلاغية لا تتأتى لغيرها. وهكذا الخَصوصيات البلاغية، كل منها له صبغ دلالي وأثر بياني، فإذا ما اكتسى المعنى ما يلائمه من تلك الخصوصيات، كانت البلاغة في أبهى حُللها.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٣].

---

(١) ينظر: هامش بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، (ص٢٤).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (٢/ ٥٠٩).

(٣) صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، أبو حاتم البُستي، تح/ محمد علي سونمز، خالص آي دمير، (١/ ٤٥٥)، دار ابن حزم ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٣٣هـ .

لقد حث الإسلام على السماحة في البيع والشراء. وفي الحديث الذي بين أيدينا يحث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته على صورة من صور ذلك التسامح، ألا وهي إقالة النادم بيعته، و"الإقالة في البيع... رفع العقد، وقاله قيلًا من باب باع: لغة، واستقاله البيع فأقاله"(١).

وإقالة النادم بيعته، دعا إليها الشرع الحنيف على سبيل الندب، لا على سبيل الوجوب(٢).

ولما كان الجزاء من جنس العمل، كان جزاء من أقال نادمًا بيعته، أن يُقيل الله عثرته. وعن معنى إقالة العثرة في اللغة، يقول المصباح المنير: "أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ: إذَا رَفَعَهُ مِنْ سُقُوطِهِ"(٣)، ومعناها في الشرع: غَفَر خطيئتَه، وتجاوز عن الزلات التي كان سيعثر بها(٤).

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (٢/ ٥٢١)، المكتبة العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: الاستذكار، ابن عبد البر، تح/ سالم محمد عطا، محمد علي معوض، (٦/ ٤٧٧)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٢/ ٥٢١).

(٤) ينظر: شرح مصابيح السنة، ابن المَلَك، تح/ لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، (٣/ ٤٤١)، ط إدارة الثقافة الإسلامية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ . والمفاتيح في شرح المصابيح، المُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب،(٣/ ٤٥٤)، ط دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ. والتحبير لإيضاح معاني التيسير، الصنعاني، تح/ محَمَّد صُبْحي، (١/ ٤٥٦) مَكتَبَةُ الرُّشد ـ السعودية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

ويدور معنى الحديث حول: الترغيب في رفع عقد البيع عند ندم طرفه الآخر؛ تسامحًا. وقد اقتضى المقام أن يعتبر البيان النبوي مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة، وذلك في لفظة: (أَقَالَ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ فقد أتت مشاكلة للفظة: (أَقَالَ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ). وقد بنيت المشاكلة على الاستعارة، حيث صور بيان النبوة هيئة التجاوز عن الزلات، التي سيعثر العبد بسببها بهيئة أمر الله ـ تعالى ـ بإقالة عثرة من أقال نادمًا بيعته، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية. والاستعارة لها أثرها في أداء المعاني؛ "فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعوَّل في التوسع والتصرف، وبها يُتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر"[(١)].

إن الصورة الاستعارية التي بنيت عليها المشاكلة، انهلت مدرارة بشآبيب المعاني، على وجازة بنائها؛ فالاستعارة ينبوع دَفّاق بالدلالات التي تنقل كثير المعاني في وجيز المباني، فهي "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر"[(٢)].

هذا، وقد تجاوزت صورة المعنى الاستعارة إلى المشاكلة، حيث ذكرت لفظة: (أقال) الثانية بلفظ غيرها؛ لوقوعها في صحبة لفظة: (أقال) الأولى. وتتجلى بلاغة المشاكلة في تلك اللفظة: (أقال) والتي اكتسى المعنى من خلالها صورة غير مألوفة، إذ لم يُؤلف في التعابير أن يُعبَّر عن: (أزال) بـ: (أقال).

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح وشرح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (ص٤٢٨)، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) أسرار البلاغة، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر، (ص٤٣)، مطبعة المدني ـ القاهرة، دار المدني ـ جدة، بدون تاريخ.

وفي التعبير بغير المألوف ما أثر في النفس المتلقية، وأثار بها عجبًا ودَهَشًا، وجعلها تركض مرتحلة وراء إدراك بلاغة تلك الصورة غير المألوفة، فإذا ما وقفت النفس على المعنى المراد، بعد رحلة دَهَش وعجب، كان لها كالرِّيِّ بعد الظمأ، واللقاء بعد طول الفراق؛ إن المعنى يستقر في مطاويها، ويسكن في نواحيها، وفي ذلك من الإمتاع والإقناع بل والخِلابة ما لا يخفى.

هذا، ومما تعانق مع المشاكلة؛ وفاءً بحق المعنى، بناء الحديث على القيد بـ"مَن" الشرطية، ذلك البناء الذي شدَّ وَثاق نظم الحديث، وألف بين لبناته، يقول الإمام عبد القاهر: "واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ في توخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ، ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني، يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِهِ هناك، نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به؛ فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاء مختلفةٍ"(١).

وإذا كان القيد بـ"مَنْ" الشرطية جمع عُرى الحديث، فإن المشاكلة تربط ـ كذلك ـ بين بنى الحديث؛ لوقوعها بين لفظتين، إحداهما تشاكل الأخرى، ففي التماثل الصوتي على مستوى الصورة اللفظية، ما جعل الحديث ينساب إلى نفس المتلقي كالكل المجتمع.

---

(١) دلائل الإعجاز، الإمام/عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر، (ص ٩٣)، مطبعة المدني ـ القاهرة ـ دار المدني ـ جدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

هذا، ومما يتعانق مع المشاكلة؛ وفاءً بحق المعنى، إسناد المسند:(أقال) للمسند إليه لفظ الجلالة:(الله)، ففي ذلك ما يزيد رغبة المتلقي في فعل إقالة النادم بيعته؛ لأن مَن سيُقيل عثرة مَن فعل ما رُغِّب فيه هو الله ـ تعالى ـ صاحب القدرة المطلقة. وفي تقييد الفعل: (أقال) ـ محل المشاكلة ـ بالظرف في قول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يوم القيامة) مزيد ترغيب للمتلقين؛ إذ الحاجة لإقالة العثرة أشد، فما أحوج العبد في يوم الفزع الأكبر لأن تُقال عثرته.

وفي بناء الحديث على إيجاز القصر، ما أضفى على الكلام حسنًا وبهاءً، جعلاه أقرب إلى النفس وألصق بالخاطر، يقول الجاحظ: "أحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه"(١).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ، أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٢).

إن هذا الحديث الشريف له علاقة تجمعه بالحديث السابق، إنها علاقة العموم والخصوص؛ إذ المعنى هنا أعم وأشمل، بينما المعنى في الحديث السابق أخص. ولفظة المشاكلة هنا هي ذاتها لفظة المشاكلة هناك.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي عن "عثمان بن عفان، سمعتُ رسول

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ، تح/ عبد السلام هارون، (ج١،ص٩٧)، المطبعة التجارية الكبرى ـ القاهرة، ط الأولى،١٩٢٦م.

(٢) صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، (١/ ٤٥٤).

اللَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ ـ تَعالى ـ بَنَى اللَّهُ لَهُ بيتًا في الجنة)"[١].

يرغب النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته في بناء المساجد، ويبشرهم بأن من بنى مسجدًا لله ـ تعالى ـ بنى الله له بيتًا في الجنة.

ويدور معنى الحديث حول: الترغيب في بناء المساجد. وقد اقتضى المقام أن يكتسي المعنى رداءً من المشاكلة؛ وفاءً بحق المعنى. وقد أتت المشاكلة في لفظة: (بنى) الثانية، والتي تشاكل لفظة: (بنى) الأولى.

هذا، وقد بنيت المشاكلة على المجاز العقلي، الذي علاقته: السببية؛ حيث أُسند الفعل: (بنى) إلى غير ما هو له لعلاقة السببية؛ فالحق ـ تعالى ـ لا يبني على الحقيقة ـ حاشاه سبحانه أن يُشبَّه بعباده ـ وإنما أمره ـ تعالى ـ سبب في البناء. وفي إسناد الفعل إلى الحق ـ تعالى ـ ما يلائم المقام، فلما كان المقام مقام ترغيب، كانت البلاغة في إسناد الفعل لله ـ تعالى ـ ففي ذلك الإسناد ترغيب للمتلقين، لفعل ما يُرغب فيه الحديث، من بناء المساجد؛ ابتغاءً للأجر من الله تعالى.

والحقيقة: أن المجاز العقلي نمط فريد من أنماط المجاز، له سماته الدلالية التي لا يُنازَع فيها، يقول الإمام عبد القاهر: "وهذا الضربُ منَ المجاز على حدَّته، كنزٌ من كنوزِ البلاغةِ، ومادَّةُ الشاعرِ المُفْلِق والكاتبِ البليغِ في الإبداع والإحسانِ، والاتِّساع في طرقِ البيان، وأنْ يجيءَ بالكلام مَطبوعًا مصنوعًا، وأن يضَعه بَعيدَ المرامِ، قريبًا منَ الأفهام"[٢].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، (٣٧٨/١) مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، ١٣٧٤هـ .

(٢) دلائل الإعجاز، (٢٩٥/١).

هذا، ولا يخفى أثر التكرار اللفظي للفظة: (بنى)، ذلك التكرار الذي استرعى فكر المتلقي، واستوقف تأمله، فالحقيقة: أن التكرار قد يكون له من الطلاوة والتأثير ما يخلع على نظم الكلام خِلابة آسره، وذلك إذا ما استطاع المتكلم أن يضعه الموضع اللائق، وأن يجعله في مكانه الملائم بين سَدَى نسج الكلام ولُحمته، فلا يشعر المتلقي بملل أو ضجر. وفي الحديث الذي بين أيدينا تكرر لفظ: (بنى) مرتين، ورغم ذلك لم نشعر بشيء من الملل، بل ملأ الإمتاع نفوسنا، والإقناع عقولنا.

"والتكرار سلاح ذو حدين، فقد يكون ناجحًا مثمرًا، إذا طرق النفوس من أبواب ملونة، وقد يكون مبعث السأم والضيق، إذا فقد التلوين في العرض، والإبداع في التصوير، حتى لا يؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه"(١).

إن المشاكلة مجمع ألوان بلاغية متنوعة، فقد بنيت هنا على المجاز العقلي، كما بنيت على التكرار، ثم كانت المشاكلة بأن ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته. وفي المشاكلة التي اكتساها المعنى النبوي الشريف ما طابق المقام، وحقق غرض المتكلم، فرغب فيما يدعو إليه الحديث الشريف.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عَنْ عَائِشَةَ: أن النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ دَخَلَ عَلَيْها وَعِنْدَها امْرَأَةٌ، قَالَ: (مَنْ هَذِهِ). قالَتْ: فُلانَةُ، تَذْكُرُ مِنْ

(١) البلاغة النبوية، د/ محمد رجب البيومي، (ص١٩٠)، الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

صَلاتِهَا، قَالَ: (مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا). وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه"[١].

يقول النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اشتغلوا بما تستطيعون المداومة عليه من الأعمال؛ فالله ـ تعالى ـ لا يقطع عنكم ثوابه، إلا إذا انقطعتم عن العمل بسبب إفراطكم فيه[٢]. وهذا المعنى يرشحه السياق الواقعي للحديث.

يدور معنى الحديث حول: الترغيب في التوسط في الطاعة وعدم الإفراط فيها. وقد اقتضى المقام أن يكتسي المعنى رداء المشاكلة؛ إذ هي التي تطابق الحال.

وقد وقعت المشاكلة في لفظة: (يَمَلُّ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم: (فوالله لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تمَلُّوا)، وقد ذُكر المراد بلفظ: (يَمَلُّ)؛ لوقوعه في صحبة: (تملوا)، والمَلَلُ والسآمة من الأعراض النفسانية، وهذا محالٌ على الله ــ تعالى ــ، فالمراد لازمُهُ، وهو: الإعراض، فإن مَنْ ملَّ عن شيء أعرض عنه، وإنَّما ذكره بلفظ المَلَلِ؛ مشاكلة لما قبله[٣].

هذا، وقد بنيت المشاكلة على المجاز المرسل، ففي لفظة: (يَمَلُّ) مجاز مرسل، علاقته الملزومية، حيث استُعْمِل الملزوم وأريد اللازم، فمتى وُجِد الملل وُجِد الإعراض.

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د/ مصطفى ديب البغا، (١/ ٢٤)، دار طوق النجاة ، مصورة عن السلطانية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، تح/ أحمد عناية، (١/ ١٠٩)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.

وتتجلى بلاغة المشاكلة في ذلك الرداء غير المألوف الذي اكتساه المعنى في لفظة المشاكلة، فقد استقر في الأنفس المتلقية لفظ بعينه لكل معنىً من المعاني، بناء على أصل الوضع اللغوي، فإذا ما خرج المتكلم على ذلك النظام اللغوي فتجاوزه إلى غيره، توقفت النفس المتلقية وقد استبد بها العجب وفاض في مطاويها الدَّهَش، ثم ما تلبث أن تمضي مرتحلة وراء إدراك دلالة صورة المعنى التي برزت من خلال تلك المشاكلة.

ولا شك أن استلفات النفس المتلقية وإثارة تساؤلاتها؛ ركضًا وراء الدلالة المرادة، له أثر بالغ في تمكن المعنى المراد في النفس الإنسانية، ومن ثمَّ يتحقق الإمتاع والإقناع، وهما غاية البلاغة وذروة سنامها.

إن صورة المعنى لو سيقت على الأصل فقيل: (فوالله لا يُعرض اللهُ حتَّى تمَلُّوا)، لما كان للكلام خِلابته وتأثيره في النفس المتلقية؛ فما كان للمعنى أن يبلغ محله من عقل وقلب ووجدان المتلقي إلا بتلك الصورة التي بَلَّغت المعنى حتى أودعته القلب، يقول صاحب الصناعتين: "حدُّ...البلاغة: كلُّ ما تُبَلِّغ به المعنى قلب السامع، فتمكِّنَه في نفسه كتمكّنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرِض حسن"(١).

ومن الأحاديث النبوية التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة سبيلًا لنقل المعنى، في مقام الترغيب، ما روي "عن عبد اللَّه بن عمر، أن رسول اللَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ)(٢).

---

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (ص١٠)، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤١٩هـ .

(٢) صحيح ابن خزيمة، تح/ محمد مصطفى الأعظمي، (٣/ ٢٣)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، بدون تاريخ.

يرغب النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في وصل الصفوف في الصلاة، وذلك بسد خللها، والمحافظة على استقامتها، ويحذر من قطعها، وترك فرجة فيها. ويؤكد النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن من وصل صفًّا وصله الله بمغفرته وبره وإحسانه ورعاه برحمته... إلى غير ذلك من صور الوصل الإلهي، بما يليق بالوهب الرباني. أما من قطع صفًّا، قطعه الله من رحمته وعطائه[1].

لقد وقعت المشاكلة في لفظتي: (وصله ـ قطعه) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَصَلَهُ اللَّـهُ،... قَطَعَهُ اللَّـهُ)، حيث ذُكر المراد بلفظتي: (وصله ـ قطعه)؛ لوقوعه في صحبة: (وصل ـ قطع).

هذا، والوصل والقطع لا يتأتيان من الله ـ تعالى ـ حقيقة؛ لما فيهما من معنى التجسيم، الذي يتنافى مع كمالات الذات الإلهية. وقد عبر بيان النبوة بـ:(وصله ـ قطعه) على سبيل المجاز المرسل، حيث استعملت اللفظتان في غير ما وضعتا له؛ لعلاقة الملزومية، حيث أطلقتا وأريد لازمهما، ولازم الوصل: البر والإحسان والرعاية... إلى غير ذلك. ولازم القطع: الحرمان وعدم الرعاية... إلى غير ذلك، وإنَّما عبر بيان النبوة بـ:(وصل ـ قطع)، مشاكلة لما قبلهما.

وفي ابتناء المشاكلة على المجاز المرسل، تكثيف للدلالة وإثراء للنص الشريف، ففي المجاز المرسل إيجاز لكثير من المعاني، فللمشاكلة المبنية على المجاز المرسل في: (وصل) دلالات كثيرة من البر والإحسان والرعاية والمنح والوهب وجعل العبد في دائرة الملاحظة الربانية، كما أن في المشاكلة بـ:(قطع) من الحرمان

---

(١) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، تح/ محمَّد إسحاق، (٤٢١/١٠)، مكتبة دار السلام ـ الرياض، ط الأولى، ١٤٣٢هـ

وعدم الرعاية والعقاب والغضب الرباني، إلى غير ذلك من المعاني التي تتدفق مدرارة من مُزْن هاتين اللفظتين.

إن الإيجاز ثمرة لتلك المشاكلة المشيدة على قواعد المجاز المرسل، وللمجاز من المزية ما لا يخفى، يقول الجاحظ: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه"(١).

إن أداء المعنى المراد عن طريق المشاكلة، وافق الأمر الداعي لاعتبار تلك الخَصوصية، فأنهى المعنى المراد إلى قلوب متلقي الهدي النبوي الشريف في صورة مؤثرة مقنعة، رغَّبت المتلقين في وصل الصفوف في الجماعات، بل جعلتهم أكثر حرصًا على ذلك، كما رهبتهم من قطعها، وغرست غِراس الخوف من فعل ذلك، وما كان لتلك الغاية أن تتحقق بأسلوب آخر غير الذي اكتساه المعنى.

ولا يخفى أثر تلك الخَصوصيات البلاغية التي تعانقت مع المشاكلة؛ وفاءً بحق المعنى، والتي في الصدارة منها: بناء الحديث على أسلوب التقييد بالشرط بمَن: (من وصل...ومن قطع...)، ذلك التقييد الذي أكد على ما أكدت عليه المشاكلة من أن الجزاء من جنس العمل، ومنه: إسناد الفعلين: (وصله ـ قطعه) للفظ الجلالة في: (وصله الله ـ قطعه الله)، ذلك الإسناد الذي يرغب واصلي الصفوف، ويرهب قاطعيها؛ فلما كان الجزاء وصل الله ـ تعالى ـ والعقاب قطع الله ـ تعالى ـ ، كانت النفس المتلقية بين خوف ورجاء.

إن بيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثَرُّ الدلالة؛ "فهو كلام كلما زدته فكرًا زادك معنى، وتفسيره قريب، قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حد وقف، وإن مددت

---

(١) البيان والتبيين، (ج١، ص٩٧).

مد، وما أديت به تأدي، وليس فيه شيء مما تراه لكل بلغاء الدنيا من صناعة عبث القول، وطريقة تأليف الكلام، واستخراج وضع من وضع، والقيام على الكلمة حتى تبيض كلمةً أخرى، والرغبة في تكثير سواد المعاني، وترك اللسان يطيش طيشه اللغوي يتعلق بكل ما عرض له"[١].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعاصِ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)"[٢].

يبين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن المراد بِقَبْضِ العلم ليس محوهُ من صدور العلماء، ولكن معناه: أن يموت العلماء، ويتخذ الناس جُهالًا يحكمون بجهالاتهم، فيُضلون ويَضلون[٣].

ويدور معنى الحديث حول: بيان فضل العلماء، وأن بموتهم يُمحا العلم ويظهر الجهل، وفي ذلك ترغيب في العلم وطلبه.

---

(١) السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تح/ أبو عبد الرحمن البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، (ص٢٨، ٢٩)، دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا، ط١، بدون تاريخ.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (١/ ٥٠).

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٦/ ٢٢٣)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط الثانية،١٣٩٢هـ.

وقد وردت المشاكلة في لفظة: (يقبض) في قولـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يقبض العلم)، حيث أتت مشاكلة للفظة: (بقبض) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بقبض العلماء). وقد اقتضى المقام أن يعتبر بيان النبوة مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة.

ولفظة: (يقبض) في قولـه: ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يقبض العلم) ليست على حقيقتها؛ جاء في مقاييس اللغة: "الْقَافُ وَالْبَاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ واحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مَأْخُوذٍ، وَتَجَمُّعٍ فِي شَيْءٍ"(١)، وجاء في كتاب العين: "القَبْضُ: سوق شديد"(٢)، وجاء في تاج العروس: "القابِضُ فِي أَسْمَاءِ الله الحُسنى هُوَ الَّذي يُمْسِكُ الـرِّزْقَ وغيـرَهُ مـن الأَشْـياءِ عـنِ العِبـادِ بلُطْفِـهِ وحِكْمَتِـهِ، ويَقْـبِضُ الأَرْواحَ عِنْـد المَمَات...وقَبَضَ اللهُ روحَهُ: توَفَّاهُ"(٣). فأصل الدلالة الوضعية للقبض غير المعنى الذي استعمل فيه في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بقبض العلماء).

لقد ولدت المشاكلة هنا من رحم الاستعارة، ففي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يقبض العلم) استعارة مكنية، حيث صور بيانُ النبوة العلمَ إنسانًا يُقبَض، وفي إثبات لازم المشبه به (يقبض) للمشبه (العلم) استعارة تخييلية، قرينة للمكنية.

والعلم لا يُقبض على الحقيقة، وإنما يُمحا بموت العلماء. وفي التعبير الاستعاري ما يضفي ظلالًا من الحزن على المشهد، فقبض العلماء بمثابة قبض

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح/ عبد السلام هارون، (٥/ ٥٠)، دار الفكر . دمشق، ١٣٩٩هـ.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (٥/ ٥٣)، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (١٩/ ١٠).

العلم، فبموتهم يمحا العلم ويذهب، ومن ثم يعم الجهل، ويتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، يقولون منكرًا من القول وزورًا، فيَضلون ويُضلون.

وفي ذكر المحو بلفظ القبض في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يقبض العلم) ما يوحي بشرف العلم وعلو منزلته عند الله ـ تعالى ـ فالله ـ تعالى ـ هو "القابِضُ... يَقْبِضُ الأَرْواحَ عِنْد المَمَات"(١)، والأرواح: أجسام شفافة مشتبكة بالأجسام اشتباك الماء بالغصن الأخضر، وعند الموت يأمر الله ـ تعالى ـ بها فتُنزع؛ لتصعد إلى بارئها، فأمرها من أمر الله، وأسرارها عنده، لا يطلع عليها ملَك مقرب، ولا نبي مرسل. ولما كانت الروح على تلك الصورة المتوشحة بالجلال والمهابة والتَّجِلَّة، وكان القبض من ملائماتها؛ فهو مسمى أخذها، كان في استعماله في محو العلم، ما يلقي على العلم ظلالًا رُوحية كتلك التي اتَّشَحَت بها الروح، من الجلال والمهابة والتجلة.

إن في التعبير بأسلوب المشاكلة في الحديث الشريف، ما صور العلم في صورة مهيبة، تظللها التَّجِلَّة الروحية والمهابة السنية، فالعلم نور من نور الله ـ تعالى ـ فبه تُضاء الدنيا، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور.

والحقيقة: أن هذه المعاني التي تحدَّرت من سماوات المشاكلة، ما كان لها أن تتحدَّر إلا من تلك الخَصوصية، التي نقلت المعنى النبوي الشريف وأنهته إلى المتلقين، من خلال ذلك النظم البليغ الذي أسهمت تلك المشاكلة في بنائه بالنصيب الأوفى.

إن المشاكلة مثلت في الحديث الذي بين أيدينا نقطة الدائرة وعمود الخيمة؛ إنها كشجرة في الأرض جذورها وفي السماء أغصانها، فجذورها الاستعارة، وفروعها ذلك التماثل الصوتي، الذي أحدث إيقاعًا رتيبًا متميز النبرات، فاستدنى المتلقين الذين ما فتئوا يتأملونه حتى وجدوا تماثلًا في الصورة اللفظية فحسب، أما من حيث المعنى

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (١٩/ ١٠).

فلا تطابق، ولكنه معنى ذكر بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته، ومن هنا كان العجب والطرب والدَّهَش الذين سيطروا على النفس المتلقية، فنقلوها إلى عالَم أثيث مكسوٍّ بالخِلابة التي أثرت في النفس المتلقية إمتاعًا وإقناعًا.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَذَهَبَ وَاحِدٌ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فَجَلَسَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيا فَاسْتَحْيا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ)"(١).

يوضح النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الجزاء من جنس العمل، وذلك من خلال هذا الحديث النبوي الشريف، الذي يدور معناه حول: فضل الحرص على شهود مجالس العلم في المساجد.

لقد بني الحديث الشريف ـ الذي بين أيدينا ـ على أسلوب المشاكلة، التي تكررت ثلاث مرات: الأولى: في لفظة: (فَآواهُ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (فَآواهُ اللَّهُ) حيث أتت مشاكلة للفظة:(فَأَوَى) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى). ولا شك أن إسناد الإيواء إلى الله ـ تعالى ـ محال على الحقيقة؛ لما فيه من معنى التجسيم الذي يستحيل على الذات العليَّة. وعن حقيقة الإيواء في

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (١/١٨٠).

اللغة، يقول الجوهري: "المأوى: كل مكان يأوي إليه شيء ليلًا أو نهارًا، وقد أوى فلانٌ إلى منزله يأوي أويًا،...وآوَيْتُهُ أنا إيواءً، وأَوَيتَهُ أيضًا: إذا أنزلتَه بك"(١). فأصل الوضع اللغوي للإيواء ليس مرادًا هنا، إنما المراد: معنى التلقي بالقبول والتوفيق للجلوس في مجلس العلم، ولعل في كلام ابن بطال ما يشير إلى ذلك، يقول: "(فآواه الله)، بالمد يقال: أويتُ إلى الشيء بقصر الهمزة: دخلتُ فيه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠] ، وآويتَ غيرَك: إذا ضممتَه إلى نفسك، بالمد، قال الله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوَىٰ) [الضحى: ٦] "(٢).

وفي لفظة: (فَآوَاهُ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(فَآوَاهُ اللَّـهُ) مجاز مرسل، حيث استعملت اللفظة في غير ما وضعت له؛ لعلاقة الملزومية، حيث ذكر الملزوم وأريد اللازم. فالمراد: لازم الإيواء من التلقي بالقبول والعناية الإلهية والرعاية الربانية.

وتتجلى بلاغة المشاكلة التي بنيت على المجاز المرسل في تلك المعاني التي انتهت إلى نفوس المتلقين من خلال صورة المعنى، إنها معانٍ تُرغِّب في شهود مجالس العلم في بيوت الله ـ تعالى ـ، وتدعو للتزاحم بين يدي العلماء؛ طمعًا في ذلك الثواب الجزيل، الذي ذكره النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، (٦/ ٢٢٧٤)، ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تح/ ياسر إبراهيم، (٢/ ١٢١)، مكتبة الرشد ـ السعودية، ط الثانية، ١٤٢٣هـ.

إن فـي ابتنـاء الحـديث الشـريف علـى المشـاكلة مـا وافـق المقـام، ووفَّـى بحـق المعنـى المـراد، ومـا كـان للمعنـى النبـوي الشـريف أن يصـل إلـى نفـوس المتلقـين، وأن يؤثر فيها إمتاعًا وإقناعًا إلا باعتبار بيان النبوة لتلك الخَصوصية.

وأما عن المشاكلة الثانية: فقد أتت في لفظة: (فاسْتَحْيا) فـي قولـه ـ صلى الله عليـه وسلم ـ :(فاسْتَحْيا اللَّـهُ مِنْـهُ) حيث أتت مشاكلة للفظـة:(فاسْتَحْيا) فـي قولـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وأمـا الْآخَـرُ فَاسْتَحْيَا). وحقيقـة الاستحياء مستحيلة علـى الله ـ تعـالى ـ لمـا فيهـا مـن التشـبيه والتجسـيم، جـاء فـي اللغـة: "الْحيَـاء: التَّوْبَـة والحشمة. وَقد حَيِيَ مِنْـهُ حَيَـاءً واستحيا"[1]. فحقيقـة الوضـع اللغوي للحيـاء لا تليـق بالذات العلية.

لقد آثر بيان النبوة ذلك التعبير على سبيل المشاكلة، وقد بنيت المشاكلة على المجاز المرسل، حيث استعملت كلمـة: (فَاسْتَحْيا) فـي غير مـا وضعت لـه فـي أصل الوضـع اللغـوي؛ لعلاقـة الملزوميـة، حيـث ذكـر الملـزوم وأريـد الـلازم، فـالمراد: لازم الاستحياء من ترك العقاب؛ جزاءً وفاقًا لذلك العبد الذي ترك التزاحم فـي مجلس العلم فجلس خلف الناس تأدبًا.

وتتجلى بلاغة المشاكلة فـي تصوير فضل الله ـ تعالى ـ وكرمـه علـى عبـاده، فهـو سـبحانـه يجـازيهم مـن جنس أعمـالهم، فمـن اسـتحيا مـن الله ـ تعـالى ـ بتـرك المزاحمة في مجلس العلم، استحيا الله منه بترك عقابه، مَنًّا وكرمًا.

وفـي ابتنـاء تلـك المشـاكلة علـى المجـاز المرسـل الـذي علاقتـه الملزوميـة، مـا اختصر الكلام اختصارًا، ففي صورة بلاغيـة موجزة البنـاء، تلوح صورة لمعانٍ كثيرة،

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تـح/ عبـد الحميـد هنـداوي، (٣/ ٣٩٩)، دار الكتـب العلمية ـ بيروت، ط الأولى،١٤٢١هـ.

تتلاطم بين مرفأي الصورة اللفظية، فلازم استحياء الله ـ تعالى ـ من العبد يضيق المقام عن تعداده، ونثر كناته، واستفراغ جَعبته؛ فوراء تلك الصورة البلاغية دلالات ما كان لها أن تكون لولا اعتبار البيان النبوي لتلك الخَصوصية.

وأما المشاكلة الثالثة: فهي في لفظة: (فَأَعْرَضَ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) حيث أتت مشاكلة للفظة: (فَأَعْرَضَ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ). وعن أصل الوضع اللغوي للفظة: (فَأَعْرَضَ) جاء في اللغة: "أَعْرَضَ عَنِ الشَّيْءِ: إذا ولَّاه ظَهْرَهُ"(١). وهذا المعنى مستحيل في جانب الله ـ تعالى ـ فالكلام على جهة المجاز، فقد بنيت تلك المشاكلة هي الأخرى على المجاز المرسل الذي علاقته الملزومية، حيث أطلق الملزوم وأريد لازمه. ولازم الإعراض: غضب الله ـ تعالى ـ وما يستتبعه من مقتٍ وعدم توفيقٍ وخروجٍ من دائرة الرعاية والعناية الربانية.

لقد مثلت المشاكلة في الحديث الشريف أسلوبًا بلاغيًا محوريًا، إذ هو في النص الشريف كنقطة الدائرة وعمود الخيمة، فعليه يقوم نظم الحديث، ولا شك أن المشاكلة عبارة عن صور بلاغية متداخلة، تتشابك أغصانها، وتتداخل خيوطها؛ لترسم في قلب المتلقي وعقله ووجدانه صورة مكتملة الخلق، محكمة السبك، رسمتها يد صَناع، يدرك كيف تُخلق الصور في أحسن تقويم بلاغي؛ لتؤثر في النفس إمتاعًا، والعقل إقناعًا.

ومن النماذج الحديثية التي اتخذ البيان النبوي فيها المشاكلة صورة للمعنى في مقام الترغيب، ما روي عن "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ يقول: جاءَ رَجُلٌ

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٧/ ١٧٦)، دار صادر – بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.

إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم ـ فاستأذنه في الجهاد، فقال: (أحيٌّ والداك؟) قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد)"[1].

لقد اهتم الإسلام ببر الوالدين، وجعل طاعتهما من طاعة الله ـ تعالى ـ بل جعل خدمتهما والقيام على أمرهما جهادًا في سبيل الله ـ تعالى ـ.

وقد أتت لفظة: (فجاهد) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ففيهما فجاهد) مشاكلة لكلام الرجل الذي استأذن في الجهاد، جاء في الرواية: (فاستأذنه في الجهاد).

وقد آثر بيان النبوة أن يعبر عن المراد بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته، يقول القاري: "وقوله: (فجاهد) جيء بها مشاكلة، يعني حيث قال: (فجاهد) في موضع فاخدمهما؛ لأن الكلام كان في الجهاد"[2].

إن لفظة: (فجاهد) ليست على حقيقتها؛ لأن معنى الجهاد المتبادر إلى الذهن، هو: قتال العدو بالسلاح في ساحة حرب، يقول ابن سيده: "جاهدَ الْعَدوَّ مُجاهدةً وجِهادًا: قَاتله"[3]. ولكن لفظة: (فجاهد) جاوزت تلك الدلالة الوضعية، واستعملت استعمالًا آخر، حيث أتت لتشاكل لفظة في نص الرواية، على سبيل المشاكلة، والمشاكلة شُيِّدت على استعارة، حيث صور بيان النبوة الخدمة جهادًا على سبيل الاستعارة التصريحية.

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٣/ ١٠٩٤).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي القاري، (٦/ ٢٤٧٢)، دار الفكر ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، (٤/ ١٥٥).

إن تلك المشاكلة المبنية على الاستعارة، اختصرت الكلام اختصارًا، فعبرت عن معانٍ كثيرة بلفظة واحدة: (فجاهد) وفي تلك اللفظة معنى خدمة الأبوين إلى أقصى غاية، مهما كبَّدت تلك الخدمة الابن من مشاق، وتلك الخدمة ليست بدافع الحب الفطري لهما فحسب، بل هي استجابة لأمر رباني وتوجيه نبوي، والترك تلك الخدمة كترك ساحة الحرب، فترك خدمة الأبوين لها من القبح ما للتولي يوم الزحف.

إن معانٍ كثيرة تتحدَّر من تلك المشاكلة المبنية على الاستعارة، فمن خصائص الاستعارة أنها "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر"(١).

إنَّ الحديث الشريف على وجازته، إلا أن تلك المشاكلة المبنية على الاستعارة غمرت ساحته بمعانٍ تدفقت مدرارة بين مرفأيه نقلت المراد النبوي الشريف، ولاءمت مقام الترغيب في خدمة الأبوين ورعايتهما.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي خَصوصية المشاكلة في مقام الترغيب، ما روي "عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي اللَّهُ عَنْها ـ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور"(٢).

إن النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان جابرًا للخواطر، فلم يكن ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواجه أحدًا بما يكره، فالسيدة عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ تسأله عن أمر الجهاد للنساء؛ شوقًا منها لمنزلة المجاهدين، فلم يواجهها النبي ـ

---

(١) أسرار البلاغة، (ص٤٣).

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٢/ ٥٥٣).

صلى الله عليه وسلم ـ بما في طبائع النساء من ضعف ورقة، مما يتنافى مع طبيعة الجهاد، وما يتطلبه من جَلَد ومشقة وقوة، فما كان من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو جابر الخواطر إلا أن ردَّ على السائلة بذلك الرد البليغ، الذي اتخذ سبيل المشاكلة.

ففي لفظة: (الجهاد) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أفضل الجهاد حج مبرور) مشاكلة، حيث أتت لتشاكل لفظة: (نجاهد) في قول السيدة عائشة: (أفلا نجاهد؟).

لقد اقتضى المقام أن يعتبر النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة، تلك الخَصوصية التي وافقت حال المتكلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحال المخاطَبَة ـ رضي الله عنها.

أما عن حال المتكلم: فلما كان المتكلم هو النبي الكريم الرؤوف الرحيم صاحب الخلق العظيم؛ كان الملائم لحاله أن يجنب كلامه الشريف ما يؤذي مشاعر المخاطَبَة والمخاطَبَات أو يواجهنَّ بضعفهنَّ، ففي ذلك ما يؤذيهنَّ، وحاشاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يؤذي أحدًا؛ فهو دواء النفوس وشفاؤها. ولما كان الأمر على ذلك، كان اكتساء المشاكلة للمعنى المراد هو عين تجلي البلاغة.

أما عن حال المخاطَبَة: فإن السيدة عائشة متشوفة للجزاء العظيم الذي أُعِدَّ للمجاهدين في سبيل الله ـ تعالى ـ فتاقت نفسها لنيل ذلك الجزاء، إنها تتعلق بأمر الجهاد، فلقد قرأت من الآيات القرآنية وسمعت من الأحاديث النبوية ما رغبها في مصير المجاهدين نصرًا أو استشهادًا. ومن ثَم كانت البلاغة في سوق الجواب على سؤالها متضمنًا للفظ الجهاد، بل أفضل الجهاد، ولفظ: (الجهاد) هنا ليس على حقيقته اللغوي، إنما خرج عن تلك الحقيقة إلى الاستعمال في غير ما وضع له، لعلاقة الجزئية، حيث ذكر الجزء وهو: (الجهاد) وأريد الكل، وهو: (العمل الصالح).

وفي إيثار المجاز المرسل مرتكزًا تقوم عليه المشاكلة من الخِلابة ما لا يخفى؛ فلقد صور المعنى المراد تصويرًا دقيقًا ملائمًا للمقام، فضلًا عن الإيجاز، فلقد أعطانا المجاز المرسل من خلال لفظة واحدة معانيَ كثيرة، وذلك من خلال ما توحيه اللفظة

من معانٍ تحدَّرت من أسلوب المجاز المرسل. وبينما من يتلقى هذا البيان النبوي الشريف يستغرق في تذوق بلاغة المجاز المرسل، إذ بالمشاكلة في لفظة: (الجهاد) تستدنيه بلذائذها البيانية، وهي رداء غير مألوف للمعنى المراد؛ إذ لم يؤلف أن يعبر عن العمل الصالح بالجهاد، ولكن المقام بمطاويه وأبعاده وظلاله استدعى المشاكلة وساق نحوها، بل جعلها وحدها دون غيرها من أساليب القول وفنون البيان، هي الملائمة لنقل المعنى النبوي الشريف.

وليس لأسلوب من أساليب البلاغة تلك المزيَّة، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوَه، وحتى تَجِده لا تبتغي به بدَلًا، ولا تجِد عنه حِوَلًا، ومن ها هنا كان أَحْلَى أسلوب تسمَعُه وأعلاه، وأحقُّه بالحُسْن وأولاهُ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهُّب لطلبه، أو مَا هو – لحسن مُلاءمته، وإن كان مطلوبًا – بهذه المنزلة وفي هذه الصورة[1]. لقد نقلت المشاكلة المعنى النبوي الشريف إلى عقول وقلوب ووجدانيات المتلقين، فأثرت فيهم إمتاعًا وإقناعًا.

ومن النماذج الحديثية التي يتجلى من خلالها أثر المشاكلة في أداء المعنى في مقام الترغيب، ما روي "عن عثمان بن أبي العاص، قال: قلت – وقال موسى في موضع آخر: إن عثمان بن أبي العاص قال–: يا رسولَ الله، اجعلني إمامَ قومي، قال: "أنتَ إمامُهم، واقتَدِ بأضعَفِهم، واتخِذْ مُؤَذِّنًا لا يأخذُ على أذانِه أجرًا"[2].

دين الإسلام يدعو إلى التيسير على الناس، ومراعاة حال الضعفاء منهم، وها هو نبي الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوجه أحد أصحابه، وقد جعله إمامًا

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، (ص١١).

(٢) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تح/ شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، (٣٩٨/١)، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.

على قومه، بأن يراعي حال ضعيفهم في الصلاة، وذلك بالتخفيف مع عدم الإخلال بحق الصلاة.

هذا، وقد سلك البيان النبوي في سبيل أداء المعنى المراد خَصوصية المشاكلة، تلك التي اعتبرها البيان النبوي، فآثرها على ما سواه من صور البيان عن المعاني، ففي لفظة: (واقتدِ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (واقتد بأضعفهم) مشاكلة، وهي مشاكلة تقديرية، حيث عبر البيان النبوي عن المراعاة بالاقتداء مشاكلة لاقتدائهم به، فكأنه قال: كما أن الضعيف يقتدي بصلاتك، اقتد أنت ـ أيضًا ـ بضعفه واسلك سبيل التخفيف(١).

وكان يمكن أن يُعبر عن المراد بـ(وراعِ حال أضعفهم)، ولكن البيان النبوي اتَّخذ رداء المشاكلة كساءً للمعنى المراد؛ لما فيه من مطابقة لمقتضى الحال. فلما كان الحال وصيةً نبويةً شريفةً بمراعاة حال المأموم الضعيف في الصلاة، وكان هذا المأموم هو المقتدِي الذي لا يملك مخالفة إمامه، كان من كمال البلاغة أن يعبر في جانب الإمام بالمشاكلة: (واقتدِ)؛ لوقوعها في صحبة اقتداء الضعيف المقدَّر، والاقتداء واقع شرعًا من جانب المأموم الضعيف، أما في جانب الإمام، فالمطلوب شرعًا مراعاة حال المأموم، ولكن البيان النبوي آثر التعبير بالاقتداء مشاكلة؛ لما في التعبير بالاقتداء من أثر في أداء المعنى المراد، يقول ابن سيده: "القدْوَة... مَا تسننتَ بِهِ...وتقدَّت بِهِ دَابَّته: لَزِمت سنَنَ الطَّرِيق"(٢) فالاقتداء يدور معناه حول: مطلق الاتباع. وفي التعبير بالاقتداء، ما ينقل المراد النبوي وما فيه من مراعاة دقيقة

---

(١) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري، (٢/ ٣٧٥)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ الهند، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، (٦/ ٥٣٤).

وقراءة فاحصة لحال المأموم الضعيف، وما يستتبعه ذلك من تخفيف في الصلاة، وترك الإطالة. وما كان لأسلوب غير المشاكلة أن ينهض بهذا المعنى.

لقد استطاع بيان النبوة أن يؤدي معانيَ كثيرة بلفظة واحدة: (واقتد) تلك التي حملت بين مطاوي حروفها من المعاني ما يضيق عنه المقام. إن المشاكلة أدَّت المراد مع مراعاة مشاعر الضعفاء وأصحاب الأعذار والحاجات، الذين لا يُطيقون الإطالة في الصلاة.

ومما أضفى على المشاكلة تلك القدرة على التأثير، ابتناؤها على الاستعارة، حيث صورت المراعاة بالاقتداء، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، والاقتداء حقيقة في جانب المأموم، مجاز في جانب الإمام. وفي طلبه بصيغة الأمر في جانب الإمام ما يعكس الرحمة النبوية بالضعفاء، تلك الرحمة التي تجسدت في تلك التوجيهات النبوية.

إن خروج لفظة: (واقتد) عن دلالتها الوضعية، واستعمالها في ذلك الاستعمال الجديد، مشاكلة مبنية على استعارة، أثر في النفوس المتلقية، واسترعى انتباهها، واستلفت فكرها، وجعلها تمضي راكضة وراء سبب اعتبار البيان النبوي لتلك الخَصوصية البلاغية. ولا تزال النفوس المتلقية راكضة حتى تنتهي لإدراك المعاني الثواني للفظة المستعملة في غير ما وضعت له، فإذا ما انتهت إليه ووقفت عليه، سكنت وطمأنت، بل وانقادت للمراد، بعد رحلة ماتعة مع المعنى الذي ينتهي إلى حبَّة الفؤاد، وتلك هي البلاغة في أسمى صورتها، وأبهى غاياتها.

المبحث الثاني

الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترهيب

من المقامات الداعية لاعتبار البيان النبوي الشريف لخَصوصية المشاكلة، مقام الترهيب، والترهيب كما جاء في اللغة، من "(رَهِبَ) خافَ وَبَابُهُ طَرِبَ وَ (رَهْبَةً) ـ أَيْضًا ـ بِالْفَتْحِ، وَ (رُهْبًا) بِالضَّمِّ. وَرَجُلٌ (رَهَبُوتٌ) بِفَتْحِ الْهَاءِ أَيْ: (مَرْهُوبٌ) يُقَالُ: رَهَبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحَمُوتٍ. أَيْ: لَأَنْ تُرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرْحَمَ. وَ (أَرْهَبَهُ) وَ(اسْتَرْهَبَهُ): أَخَافَهُ"[1]. فالمادة اللغوية للترهيب تدور حول: معنى الخوف.

إن النفس الإنسانية تفعل أو لا تفعل رغبةً أو رهبةً، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسله ربه ـ سبحانه وتعالى ـ بشيرًا ونذيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٦] و"عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الصفا، فجعل يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: (فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد)"[2].

---

(١) مختار الصحاح، الرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، (ص١٣٠)، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٤/ ١٧٨٧).

والمتأمل في المدونة الحديثية، يدرك أنَّ خَصوصية المشاكلة قد برزت في مقام الترهيب. ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: أن النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)"[1].

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استهل بيانه بالترغيب؛ حتى يستدني نفوس المتلقين، حيث رغَّب أمته في الإنفاق، فبين لهم ما يكون من الملكين اللذين ينزلان كل صباح، فيدعو أحدهما الله ـ تعالى ـ قائلًا: "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا"، ثم يرهبهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الإمساك بخلًا، فيقول: "وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا".

المشاكلة في لفظة: "أعطِ" في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"؛ حيث إن التلف لا يُعطَى، ولكن "أعطِ" في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) أتت مشاكلة للفظة: "أعطِ" في قوله: ـ صلى الله عليه وسلم ـ "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا"؛ وذلك لوقوع "أعطِ" الثانية في صحبة: "أعطِ" الأولى تحقيقًا.

هذا، وفي إيثار البيان النبوي الشريف لأسلوب المشاكلة من خلال لفظة: "أعطِ" ما يلائم المعنى والمقام. فالمعنى: معاقبة الله ـ تعالى ـ للممسك بالتلف. والمقام: ترهيب من الإمساك، وقد اقتضى ذلك المقام أن يعتبر البيان النبوي مع ما يؤدَى به أصل المراد خَصوصية المشاكلة.

---

(١) السابق، (٢/ ٥٢٣).

وفي مطالعة الدلالة الوضعية لـ: (أعطِ) ما يعكس بلاغة المشاكلة هنا؛ جاء في تاج العروس: "الإعْطاءُ: أَقْوَى مِنَ الإيتاءِ"[(١)]، وجاء في الفروق اللغوية: " في الإعطاء دليل التملك دون الإيتاء، ... ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] فإنه كان له منع من شاء منه كالمالك للملك. وأما القرآن فحيث إن أمته مشاركون له في فوائده، ولم يكن له منعهم منه، قال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]"[(٢)]، ففي: (أعط) من خَصوصية الدلالة ما يميزها عن مقارباتها في الدلالة؛ ففي الإعطاء دلالة على التملك، واستعمال الإعطاء في الجملتين: (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا) على سبيل الحقيقة، (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) على سبيل المشاكلة، ما لا يخفى من البلاغة؛ فالمنفق مالك للخَلَف لا ينازعه في تملكه أحد، والممسك مالك للتلف لا ينازعه في تملكه أحد، ففي الجملة الأولى ترغيب بامتلاك الخلف، وفي الثانية ترهيب بامتلاك التلف.

ولا شك أن الخَلَف فيه معنى العطاء، فلا غرابة أن تأتي معه لفظة: "أعطِ"، أما التلف: فلا عطاء فيه، بل فيه معنى السلب؛ لأن معناه: "عطب وهلاك في كلِّ شيء"[(٣)]، فكيف يُعطَى؟!، كما أن العطاء لا بد فيه من مناولة، جاء في اللغة: "عطوتُ الشيء: تناولتُه باليد، والمُعاطاةُ: المناولة"[(٤)]، وفي ذلك ما يتنافى مع معنى

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (٣٧/ ٣٥).

(٢) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، (ص٨٦)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) كتاب العين، (٨/ ١٢٠).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٦/ ٢٤٣١).

التلف الذي هو سلب. وهنا تتجلى بلاغة البيان النبوي في إيثار سوق المعنى المراد عن طريق المشاكلة، فأتى بـ"أعطِ" الثانية مشاكَلةً لـ"أعطِ" الأولى.

إن بلاغة المشاكلة هنا تتجلى فيما أحدثته من إثارة فكر المتلقي، وتزاحم الأسئلة على ذهنه، فينطلق حائر الفكر، سابح الخاطر، متسائلًا: ما السر وراء اعتبار تلك الخَصوصية البلاغية؟ ولِمَ استعملت "أعطِ" في غير ما وضعت له؟

وفي الإجابة على تلك الأسئلة التي تفجرت من مزن المشاكلة وانهلَّت من سماواتها؛ ما يُميط اللثام عن بلاغة المشاكلة، تلك البلاغة التي بها طابق الكلام مقتضى الحال.

فالمشاكلة في: "أعط ممسكًا تلفًا" فيها ترهيب لكل ممسك، فالملَك يدعو الله ـ تعالى ـ أن يعطي التلف ـ الذي هو: "عطب وهلاك في كلِّ شيء"[(١)] ـ للممسك، وإذا كان الإعطاء تمليكٌ، ففي تمليك التلف ما يملأ النفس المتلقية لهذا البيان النبوي خوفًا من الإمساك وعاقبته؟!، إن التلف لا ينفك عنه، ولا يفارق ساحته، فأينما حلَّ أو ارتحل صاحبه التلف.

إن سدنة البيان وأرباب الآداب، لو أَتوا جماعات ووُحْدانًا؛ ليرهبوا الممسك من عاقبة فعله، ما استطاعوا أن يؤثروا في النفس المتلقية ذلك التأثير الذي ترتب على تلك المشاكلة، التي هي لفظة واحدة في بناء تركيبي مخصوص، ولا غرو في ذلك؛ فبيان النبوة بيان بشري تمده روافد من وحي السماء، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤].

(١) كتاب العين، (١٢٠/٨).

إن المعنى الذي يتناوله بيان النبوة كان يمكن أن يكتسي صورًا شتى من أساليب البلاغة، ولكن بيان النبوة اعتبر خَصوصية اكتساء المعنى للمشاكلة دون غيرها؛ لما في خَصوصية المشاكلة ما ليس لغيرها من وجوه الكلام، وهنا تتجلى بلاغة النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، يقول الإمام عبدالقاهر: "واعلمْ أنه إذا كان بيِّنًا في الشيء أنه لا يَحتمِلُ إلاّ الوجْهَ الذي هو عليه حتى لا يُشْكِلَ، وحتى لا يُحْتاج في العلم بأنَّ ذلك حقُّه وأنه الصوابُ، إلى فكْرٍ ورويةٍ فلا مَزِيَّةَ، وإنما تكونُ المزيةُ ويجِبُ الفضلُ إذا احتمَلَ في ظاهِرِ الحالِ غيرَ الوجه الذي جاءَ عليه وجهًا آخرَ، ثمَّ رأيتَ النفسَ تَنْبو عن ذلكَ الوجهِ الآخرِ، ورأيتَ للذي جاء عليه حُسْنًا وقبولًا تعدمهما إذا أنتَ تركْتَه إلى الثاني"(١).

ومن النماذج الحديثية التي تعكس بلاغة المشاكلة في تصوير المعاني في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ"(٢).

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرهب من أمور لها خطرها، ومن ثم صعد المنبر، فنادي بصوت رفيع، وبما أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو صاحب الخلق العظيم، فلم يصرح باسم بعينه، ولكنه ساق الكلام مساق التعريض، يقول: (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ) وهو تقييد للنداء بوصف يعم المؤمن والمنافق، ثم ينهاهم عن توبيخ المسلمين على ذنب سبق لهم من قديم العهد،

---

(١) دلائل الإعجاز، (٢٨٦).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، تح/ أحمد محمد شاكر، وآخرين، (٤/ ٣٧٨)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ.

والتجسس عليهم، وتتبع عوراتهم، فإن جزاء من يتتبع عوراتهم أن يكشف الله مساويه، ولو كان في وسط منزله مخفيًّا من الناس(١).

يدور معنى الحديث حول: الترهيب من تتبع العورات. وتمثل المشاكلة الأسلوب المحوري لهذا الحديث الشريف، فعليها تدور الأساليب البلاغية المتناثرة في مطاوي الحديث. وقد أتت المشاكلة في لفظة: (تَتَبَّع) الثانية في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تَتَبَّع الله عورته) حيث ذكر كشف الستر عن المرء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا.

هذا، وقد اعتبر البيان النبوي خَصوصية المشاكلة، فاكتسى المعنى رداءً غير مرتقب، مما استلفت فكر المتلقي، واسترعى انتباهه، حيث خرج الكلام عن أصل المراد، فالله ـ تعالى ـ لا يتتبع عورة على الحقيقة، ولكن بيان النبوة صور كشف الستر الإلهي عن العبد بتتبع عورته على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ولما كانت لفظة: (تتبع) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(تتبع الله عورته) ذكر لشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا؛ كان الكلام مشاكلة، إذ المشاكلة تمر في مرحلة من مراحل خلقها بالاستعارة، وفي تلك المشاكلة ما ربط بين عرى نظم الحديث، وشد أجزاءه، وألف بين عباراته، فصار كالكل المجتمع والبنيان المرصوص.

إن المشاكلة أسهمت في نقل المعنى النبوي الشريف، فغرست غِراس الرهبة في قلب كل من كان له قلب، وحذرته من تتبع عورات المسلمين وكشف مساويهم وإزاحة اللثام عن زلاتهم، فالجزاء من جنس العمل، وإذا كان العمل تتبعًا للعورات فليكن الجزاء وفاقًا.

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٨/ ٣١٥٧).

إن تلك المشاكلة التي رسمت صورة المعنى، فيها من التنفير من تتبع عورات المسلمين ما يسد السبيل أمام كل إنسان؛ كي لا يسلك ذلك المسلك البغيض، ففي صورة تتبع الله ـ تعالى ـ عورة من تتبع عورة أخيه، ما يخلع القلوب، ويملأ الأفئدة خوفًا.

والذي لا شك فيه أنه ما كان لصورة أخرى من صور المعاني، أن تؤدي المعنى كما أدته المشاكلة؛ فلكل معنى صورة تقوم به، وتوفيه حقه، فتكون به أولى.

هذا، وصورة المشاكلة على وجازتها إلا أنها تتفجر ينبوعًا فياضًا بالدلالة التي تتلاطم بين مرفأي النص الشريف، وتلك من سمات البيان النبوي، يقول الرافعي: "ومن كمال تلك النفس العظيمة، وغلبَةِ فكره – صلى الله عليه وسلم – على لسانه قلَّ كلامه وخرج قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها، فلا ترى من الكلام ألفاظًا ولكن حركات نفسية في ألفاظ"(١).

ولا يخفى أن المشاكلة أتت موافقة للمقام؛ فلما كان المقام مقام ترهيب من أن يتتبع المسلم عورة أخيه، كانت البلاغة في اعتبار خَصوصية المشاكلة، فـ"المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلِّ مقام من المقال"(٢).

ومن تلك النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة المشاكلة وأثرها في أداء المعاني في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ أَسْمَاءَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ لِي

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (ص٢٠٥)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط الثامنة، ١٤٢٥هـ .

(٢) كتاب الصناعتين، (ص١٣٥).

النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ)... وَقَالَ: (لا تُحصِي فيُحصِي اللهُ عليكِ)"[١].

النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرهب من البخل، فيقول: (لا تُوكِي) أي: لا تدخري وتمنعي ما في يدكِ، والوكاء: هو الخيط الذي تُشد به رأس القربة. وقوله: (لا تُحصِي) من الإحصاء، وهو معرفة قدر الشيء أو وزنه أو عده، والمعنى: لا تحصي ما تنفقين؛ حتى لا تستكثريه، فربما امتنعت من الإنفاق[٢]. وزاد في رواية مسلم "... وَلا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكِ"[٣]. والإيعاء: جعل الشيء في وعاء، وأصل معناه: الحفظ. والمراد به هنا: منع الفضل عمن افتقر إليه[٤].

يدور معنى الحديث الذي بين أيدينا حول: الترهيب من البخل. ورغم أن السياق الواقعي للحديث، يؤكد أن الخطاب لأسماء ـ رضي الله عنها ـ إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالحديث لكل من يصل إليه ذلك الهدي النبوي الحنيف. وقد اقتضى المقام أن يعتبر البيان النبوي خَصوصية المشاكلة زيادة على أصل المراد؛ لاقتضاء المقام إياها.

وقد أتت المشاكلة في ثلاثة مواضع: الأول: في لفظة: (فيوكَى) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ). الثاني: في لفظة: (فيُحصي) في قوله ـ

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٢/ ٥٢٠).

(٢) ينظر: هامش: السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) صحيح مسلم، (٢/ ٧١٣).

(٤) ينظر: هامش: السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

صـلى الله عليـه وسـلم ـ : (لا تُحصِـي فيُحصـي الله عليـكِ). الثالـث: فـي لفظـة: (فيوعِي) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم: (لا توعِي فيوعِي اللهُ عليكِ).

وتتجلى بلاغة تلك المشاكلات في قدرتها على تصوير المعاني النبويـة الشريفة، فلفظ: (فيوكَى عليكِ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ) لفظ استعمل فـي غير مـا وضـع لـه، وذلك علـى سبيل الاستعارة التمثيليـة؛ وأصل الكـلام: (فيوكي الله عليكِ) حيث صور البيان النبوي هيئـة حرمـان الله ـ تعالى ـ البخيل من الرزق بسبب بخله، بهيئة أمر الله بربط عنق وعاء رزق بخيط لحرمان البخيل، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية، التي أكدت أن الجزاء من جنس العمل، والتـي صورت المعنى في صورة بصرية محسوسة، تشكلت من عناصر تقع تحت بصر المتلقي، إنها صورة تغرس في النفس الإنسانية الشحيحة غِراس الخوف من ذلك الحرمان. ومما يزيد من عطاء تلك الصورة أن البخيل على الرغم من بخله ومنعه غيره، يأمل دائمًا في مزيد من العطاء، وفي الصورة ما يقطع أمله في ذلك العطاء، حيث إن الأمر الإلهي يمضي بربط أعناق أوعية الرزق، فمن ذا الذي يفك وَثاق ما أمر الله به.

أما عن المشاكلة الثانية: فهي في لفظة: (فيُحصِي) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا تُحصِي فيُحصِي الله عليكِ) وقد صور البيان النبوي هيئة إحصاء ما يُنفق في أبواب الخير بهيئة إحصاء ما يُعطَى للمرء بأمر الله تعالى، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية. وفي تلك الصورة ما يُخوف كل بخيل من عاقبة بخله، فإن هو أخذ يَعُد ما ينفقه استكثارًا له، فلينتظر جزاءً وفاقًا من الله ـ تعالى ـ.

وتتجلى المشاكلة في لفظة: (فيُحصِي) لوقوعها في صحبة (لا تحصي)، وفي ذلك من التماثل الصوتي بين لفظة المشاكلة واللفظة التي وقعت في صحبتها ما يثير النفس المتلقية ويجعلها تنعم النظر في سر ذلك التماثل الصوتي الذي يظلل

اللفظتين، وهل استعملتا في معناهما الأصلي أم خرجتا عنه؟ وبالجواب عن ذلك تفتر الصورة عن بلاغة تلك المشاكلة.

أما عن المشاكلة الثالثة: فهي في لفظة: (فيوعِي) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا توعِي فيوعِي اللهُ عليكِ) وقد بنيت المشاكلة على الاستعارة، حيث صور بيان النبوة هيئة أمر الله ـ تعالى ـ بحبس الرزق عن البخيل بهيئة أمر الله ـ تعالى ـ بجعل رزق البخيل في وعاء. وفي تلك الصورة ما يملأ النفس المتلقية خوفًا من البخل ومنع الفضل، والصورة تؤكد أن الجزاء من جنس العمل.

هذا، وقد اكتست المعاني في المشاكلات الثلاثة صورًا محسوسة، ففي الأولى: صورة رزق البخيل في كيس ربط عنقه بحبل، وفي الثانية: صورة رزق البخيل يُعَد عليه فلا يُعطى إلا بحساب، وفي الثالثة: صورة جعل رزق البخيل في وعاء.

والصور الثلاث جسدت الأمور المجردة، وفي ذلك التجسيد ما قرب المعنى، وجعله أكثر تأثيرًا في النفس المتلقية، فضلًا عن عنصر المفاجأة التي يتلقاها المتلقي مرة بعد مرة، فلا شك أن "أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلا أنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتفجؤنا بطريقتها في تقديمه"(١).

ومما تعانق مع تلك المشاكلات الثلاث في أداء المعاني، تلك الفاءات التي أتت في المواضع الثلاثة: (لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ)، (لا تُحصِي فيُحصِي الله عليكِ)، (لا توعِي فيوعِي اللهُ عليكِ) ففي عطف لفظ المشاكلة بالفاء على ما جاء في صحبته،

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د/ جابر عصفور، ص٣٢٨، المركز الثقافي العربي ـ بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

ما يغرس الفزع في قلوب البخلاء من سرعة العقاب الذي هو من جنس العمل، تلك السرعة التي أثمرتها دلالة الفاء، يقول الزجاجي: "الفاء تكون عاطفة تدل على أن الثاني بعد الأول ولا مُهلة"(١)، وفي ذلك ما يجعل البخيل يعاود النظر في بخله مرة بعد أخرى، فالعقاب بلا مُهلة.

وفي بناء ألفاظ المشاكلات الثلاث على صيغة الفعل المضارع، بعد ابتناء الألفاظ الثلاثة التي وقعت المشاكلات في صحبتها على الصيغة نفسها، ما يؤكد على تجدد واستمرار الجزاء مع تجدد واستمرار العمل، فضلًا عن ما في الفعل المضارع من استحضار الصورة، حتى كأن المتلقي شاهد في مسرح الحدث يسمع ويرى، يقول العلوي: "الفعل المستقبل يوضح الحال، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها"(٢).

ولا يخفى ما في تلك المشاكلات مما يثير ذهن المتلقي ويستمطر تساؤلاته حول سر اعتبار البيان النبوي لخَصوصية ذكر الشيء بلفظ غيره، وفي إدراك السر البلاغي بعد لَأْي الفكر وسفر الخاطر، ما يجعل المعنى مستقرًا في النفس المتلقية.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح أثر أسلوب المشاكلة في أداء المعاني في مقام الترهيب، ما روي "عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ وزيد بن خالدٍ الْجُهَنِيِّ ـ رضي الله عنهما ـ قالا: جاءَ أَعْرابِيٌّ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِ بَيْنَنا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كَانَ

---

(١) حروف المعاني والصفات، الزجاجي، تح/ علي توفيق الحمد، (ص٣٩) مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط الأولى، ١٩٨٤م.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، (٢/ ٧٤)، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : (لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ – لِرَجُلٍ – فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَارْجُمْهَا). فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فرجمها"[(١)].

قول الأعرابي: (يا رسول الله: اقض بيننا بكتاب الله) أي: بحكم الله. وقوله: (إن ابني كان عسيفًا على هذا) أي: أجيرًا. قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لأقضينَّ بينكما بكتاب الله) أي: بحكم الله. وجلد مائة وإن كان في كتاب الله إلا أن التغريب ليس فيه؛ وإنما أطلق كتاب الله مشاكلة لكلام الأعرابي، وإن كل حكم لرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو حكم بكتاب الله. وقوله: (وليدة) أي: جارية مملوكة. وقوله: (وأما أنت يا أُنيس) بلفظ المصغر، فهو: أنيس بن يحيى الأسلمي[(٢)].

ويدور معنى الحديث الشريف حول: الترهيب من الخروج على حدود الله ـ تعالى ـ، وقد اقتضى المقام اعتبار خَصوصية المشاكلة.

والمشاكلة في لفظ: (بكتاب الله) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ) فقد أتت مشاكلة للفظ: (بكتاب الله) في قول الأعرابي: (اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ).

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٢/ ٩٥٩).

(٢) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، (٥/ ٣٠٤)، وهامش الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٢/ ٩٥٩).

وقد آثر البيان النبوي اعتبار خَصوصية المشاكلة مع ما يؤدى به أصل المراد. ولا شك أن ذلك المعنى كان يمكن أن يسلك بيان النبوة في أدائه صورًا شتى، ولكن البيان النبوي آثر صورة المشاكلة؛ لتكتسي ذلك المعنى دون غيرها، وهنا تتجلى البلاغة، يقول الإمام عبد القاهر: "واعلمْ أنه إذا كان بيِّنًا في الشيء أنه لا يَحتمِلُ إلاّ الوجْهَ الذي هو عليه حتى لا يُشْكِلَ، وحتى لا يُحْتاج في العلم بأنَّ ذلك حقُّه وأنه الصوابُ، إلى فكْرٍ وروية فلا مَزِيَّةَ، وإنما تكونُ المزيةُ ويجِبُ الفضلُ إذا احتمَلَ في ظاهِرِ الحالِ غيرَ الوجه الذي جاءَ عليه وجهًا آخرَ، ثمَّ رأيتَ النفسَ تَنْبو عن ذلكَ الوجهِ الآخرِ، ورأيتَ للذي جاء عليه حُسْنًا وقبولًا تعدمهما إذا أنتَ تركْتَه إلى الثاني"(١).

وتتجلى بلاغة المشاكلة في ترهيب المتلقين من الاعتداء على حد من حدود الله ـ تعالى ـ وهو الزنا، فإن جزاء من يقترف خطيئة الزنا كائنٌ في كتاب الله ـ تعالى ـ، وكان يمكن أن يقال: (لأقضين بينكما بحكم الله) ولكن بيان النبوة آثر: (بكتاب الله)؛ ليشاكل بها قول الأعرابي (بكتاب الله)، فجاء المعنى النبوي في صورة غير مألوفة، مما أثار فكر المتلقي، واسترعى انتباهه، فـ"المشاكلة... تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف، فيحدث عجبًا أو طربًا"(٢).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) دلائل الإعجاز، (١/ ٢٨٦).

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، (ص٥٩٠).

اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مَنْ شَانَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً يَشِينُهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، أَشانَهُ اللَّهُ بِها فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)"[١].

يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من عاب على مسلم كلمة يعيبه بذكرها، بغير حق، عاقبه الله عليها على رؤوس الأشهاد يوم القيامة[٢].

ويدور معنى الحديث حول: الترهيب من عيب المسلم ولو بكلمة واحدة، وقد اقتضى المقام أن يكتسي المعنى النبوي الشريف أسلوب المشاكلة.

لقد أتت كلمة: (أَشَانَهُ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أَشَانَهُ اللَّهُ) مشاكلة للفظة: (شَانَ) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مَنْ شَانَ عَلَى مُسْلِمٍ) وذلك على سبيل المشاكلة.

وعن أصل الوضع اللغوي للفظة: (أشان) يقول الجوهري: "الشَيْنُ: خلاف الزَيْنِ. يقال: شانه يَشينه، والمَشاين: المعايب والمقابح"[٣]. وعليه فالشَّين مستحيل على الذات الإلهية، فاللفظة مستعملة في غير ما وضعت له؛ لعلاقة الملزومية، فقد أطلق الملزوم وأريد لازمه، وذلك على سبيل المجاز المرسل، ولازم أشانه: عاقبه الله ـ تعالى ـ على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

فقد قامت المشاكلة على المجاز المرسل، مما أثمر صورة كثيفة الظلال الدلالية، فقد تولدت صورة المشاكلة من صورة المجاز المرسل، فألقى كل من الأسلوبين ظلًّا من دلالته البلاغية على صورة المعنى.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، (٤/ ٣٥٣)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤١١م.

(٢) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، (١٠/ ١٠٠).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٥/ ٢١٤٧):

ولا يخفى أثر المشاكلة في تأثر المتلقي واقتناعه بما تضمنه الحديث الشريف من صورة مخيفة، تغرس في النفس المتلقية غِراس الترهيب من ذلك الفعل الأثيم المنهي عنه.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبر فيها البيان النبوي الشريف خَصوصية المشاكلة في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم ـ قال: (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب. والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمها مر، أو خبيث، وريحها مر)"[1].

النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسوق المعاني النبوية الشريفة للمتلقين بأسلوب يقربها إليهم، حتى يُنهيها إلى قلوبهم، فتؤثر فيهم إمتاعًا وإقناعًا.

وقد بنى النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثه الذي بين أيدينا على التشبيه، فشبه بالمحسوسات؛ لما لها من أثر في نقل المعاني، وذلك من خلال صور تشبيهية أربع. وفي الصورة الرابعة، يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمها مر، أو خبيث، وريحها مر) فقد صور بيان النبوة المنافق المقيد بحال كونه لا يقرأ القرآن بالحنظلة[2] المقيدة بحال: (طعمها مر، أو خبيث، وريحها مر)، وفي ذلك التقييد مشاكلة في لفظة: (مر) في قول ـ صلى

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، (٤/ ١٩٢٨).

(٢) ينظر: "الحَنْظَلُ: ضرب من الشّجر المر... واحدته: حَنْظَلَةٌ". المحكم والمحيط الأعظم، (٤/ ٧٦).

الله عليه وسلم ـ : (وريحها مر) فقد شاكلت لفظة: (مر) في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (طعمها مر)، والإخبار عن الريح بالمرارة ليس على الحقيقة؛ لأن "الريح لا طعم له؛ إذ المرارة عَرَضٌ، والريح عَرَضٌ، والعَرَضُ لا يقوم بالعَرَضِ[١]".

إن البيان النبوي الشريف "عبَّر عن كراهة الرائحة بـ:(مر) مشاكلة لما تقدمه من قوله: (طعمها مر)"[٢]، ووراء ذلك التعبير أمر اقتضى من بيان النبوة أن يعتبر مع يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة؛ للوفاء بحق المعنى المراد.

الحقيقة: "أن الرِّيحَ لا يُوصَفُ بالمرارة والحلاوة إلا بتأويل ذلك بكريهةٍ أو نحو ذلك"[٣] فالمشاكلة قامت على استعارة تصريحية في لفظة: (مر)، حيث صور الكراهة بالمرارة؛ لما بينهما من الكراهة المشتركة[٤]. وللاستعارة أثرها في تصوير المعاني، إنها "تبرز البيان أبدًا في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلًا، وتوجب له بعد الفضل فضلًا"[٥].

وقد حاول القسطلاني بيان سر إيثار المشاكلة، فقال: "واستشكل من حيث إن المرارة من أوصاف الطعوم، فكيف يوصف بها الريح؟ وأجيب: بأن ريحها لما كان كطعمها استعير له وصف المرارة. وقال الكرماني: المقصود منهما واحد، وهو بيان

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تح/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،(١٠١/٢٤)، دار النوادر، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٢) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، (٩/ ١١٢).

(٣) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، تح/ لجنة مختصة من المحققين،(١٤/ ٣١)، دار النوادر، سوريا، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٤) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (٢٤/ ١٠١).

(٥) أسرار البلاغة، (ص٤٢).

عدم النفع لا له ولا لغيره"[١].

وأرى: أن من وجوه بلاغة تلك المشاكلة: ذلك الدَّهَش الذي سيطر على كل متلقٍ لهذا البيان، الذي آثر لفظة: (مر) على لفظة: (كريه)، إنه شعور أثار في النفس المتلقية أسئلة تتردد في مطاويها، حول السر وراء ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته.

ومما لا يخفى، أن تلك الإثارة التي تعتري النفس المتلقية، . والتي سببها أن المعنى اتخذ لنفسه رداءً من صور المعاني غير مألوف . غاية من غايات البلاغة، إنها تمهد الطريق الذي تتهادى على بساطه المعاني للقلب، فتسكن في مطاويه وتنسرب في نواحيه، "والبلاغة: إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب"[٢].

ومن الأحاديث التي اعتبر فيها بيان النبوة خَصوصية المشاكلة في مقام الترهيب، ما روي "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم .، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ"[٣].

في لفظة: (يُبْعَث) مشاكلة تقديرية، حيث أتت لتشاكل لفظة وقعت في صحبتها تقديرًا. وقد بنيت المشاكلة على الاستعارة، حيث صور البيان النبوي الخروج بالبعث، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

وعلى الاستعارة شيدت المشاكلة، حيث ذكرت لفظة: (البعث) لوقوعها في صحبة البعث تقديرًا، وفي التعبير بالبعث استهزاء بهم، ومجاراة لزعمهم؛ لبيان أنهم على

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (٧/ ٤٨٧)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة،١٣٢٣هـ.

(٢) كتاب الصناعتين، (ص٨).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون،(١٢/ ١٦٥)، مؤسسة الرسالة العالمية . القاهرة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

باطل، فالبعث للرسل فحسب، وهم يبعثون بأمر من الله ـ تعالى ـ أما الدَّجّالون الذين يُلَبِّسُون على الناس ويُموِّهون عليهم بالكذب والبهتان فلا بعث لهم، إنما هم مدفوعون في غيهم بضمائرهم المعتلة، ونفوسهم الخبيثة، ومطاويهم غير السوية. ولا شك أن في المشاكلة ما يرهب كل متلقٍ من الدَّجَل والتمويه، وينعى عليه فعله.

وتتجلى بلاغة أسلوب المشاكلة في استلفات ذهن المتلقي، وإثارة انتباهه، واستنطاقه بتساؤلات أججتها تلك المشاكلة، فقد عُبر عن الشيء بلفظ غيره؛ رميًا لمعنى، وتحقيقًا للتأثير في المتلقي، ولا شك أن التأثير وقع بالفعل.

إن المعنى المراد ساق نحو المشاكلة، وجعلها وحدها هي الأقدر على إنهاء المعنى الشريف إلى عقل وقلب ووجدان المتلقي.

إن البيان النبوي الشريف استطاع أن يسوق إلينا لفظة وارفة الدلالة، كثيفة الظلال، مثيرة لمعانٍ جانبية، ما كان لها أن تتأتى بدون المشاكلة، فكلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ "هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه"[١].

(١) البيان والتبيين، (٢/ ١٣).

الخاتمـــــة

وفيها أهم نتائج البحث، وهي كما يلي:

- **اعتبر بيان النبوة مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية المشاكلة، وذلك في مقامات اقتضت ذلك.**
- **لفظة المشاكلة في بيان النبوة تقدمت على اللفظة التي أتت في صحبتها تارة، وتأخرت تارة أخرى.**
- **أتت المشاكلة التقديرية على ندرة، بينما غلبت المشاكلة التحقيقية.**
- **كان للمشاكلة أثرها في أداء المعاني النبوية؛ فالمشاكلة مجتمع ألوان شتى من البلاغة؛ ففيها: المجاز، والتكرار، وقوة السبك. ومن رحم هذه الألوان البلاغية تخلق المشاكلة، فالمشاكلة عبارة عن صور بلاغية متداخلة، تتشابك أغصانها، وتتداخل خيوطها؛ لترسم في قلب المتلقي وعقله ووجدانه صورة مكتملة الخلق، رسمتها يد صَناع، يدرك كيف تُخلق الصور في أحسن تقويم فني. ولذلك فالمشاكلة صورة بلاغية لها خصوصيتها، فلا تكتسيها إلا معانٍ بذاتها.**
- **بنيت المشاكلة النبوية على المجاز اللغوي بنوعيه تارة، وعلى المجاز العقلي تارة أخرى، ولكلٍ مقاماته وسياقاته. وفي ابتناء المشاكلة على المجاز ما جعلها تختصر الكلام اختصارًا، فوراء صورتها اللفظية تستتر صور لمعان كثيرة تتلاطم بين مرفأي الصورة اللفظة، وكلما أطال المتلقي الوقوف والتأمل للصورة اللفظية تَحدَّرت بمعانٍ جديدة.**
- **أسهمت المشاكلة في قوة سبك بنية النص النبوي الشريف، فبها ترى الكلام بعضه آخذًا بعناق بعض، إنه كالكل المجتمع الذي يُلقى في النفس كالشيء الواحد.**
- **تتجلى بلاغة اكتساء المعاني النبوية الشريفة للمشاكلة في:**

- ذلك الدَّهَش الذي يسيطر على كل متلقٍ للمشاكلة، إنه شعور يثير في النفس المتلقية أسئلة تتردد في مطاويها، حول السر وراء ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. وبسبب هذا الدَّهَش يسافر الخاطر راكضًا وراء أكمة أسلوب المشاكلة؛ بحثًا عن سر اعتبارها دون غيرها من صور المعاني. ومما لا يخفى، أن من غايات البلاغة، تلك الإثارة التي تعتري النفس المتلقية، والتي سببها أن المعنى اتخذ لنفسه رداءً غير مألوف من صور المعاني. إن الإثارة التي تُحدثها المشاكلة، تمهد الطريق الذي تتهادى على بساطه المعاني نحو القلب، فتسكن في مطاويه وتنسرب في نواحيه.

- ذلك التماثل الصوتي الذي يوحي ابتداءً بالتكرار، ثم لا يلبث قليلًا حتى تتبدى من وراء غمامته صورة المشاكلة.

- الإيجاز، فالمشاكلة تختصر الكلام اختصارًا، ففي قليل من المباني تُعطينا الكثير من المعاني.

- ذلك التماسك النصي الذي ينعم به النص الشريف؛ فأول الكلام متصل بآخره، وآخره ينادي على أوله، إنه كلام آخذ بعناق بعضه، مشدود بوَثاق المشاكلة.

ثَبَت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة،١٣٢٣هـ.

٣-الاستذكار، ابن عبد البر، تح/ سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٤-أسرار البلاغة، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة، دار المدني ـ جدة، بدون تاريخ.

٥-الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين الحنفي، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، بدون تاريخ.

٦-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط الثامنة، ١٤٢٥هـ .

٧-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ـ القاهرة، ط السابعة عشرة، ٢٠٠٥م.

٨-البلاغة النبوية، د/ محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٩-البيان والتبيين، للجاحظ، تح/ عبد السلام هارون، المطبعة التجارية الكبرى ـ القاهرة، ط الأولى،١٩٢٦م.

١٠-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح/ جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.

١١-التحبير لإيضاح معاني التيسير، الصنعاني، تح/ محَمَّد صُبْحي، مَكتَبَةُ الرُّشد - السعودية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٢-التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، تح/ محمَّد إسحاق، مكتبة دار السلام - الرياض، ط الأولى، ١٤٣٢هـ .

١٣-التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تح/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر - دمشق، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٤-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د/ مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة ، مصورة عن السلطانية، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥-حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، محمد الدسوقي، تح/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، بدون تاريخ.

١٦-حاشية السيد الشريف، (مطبوع بهامش: كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح)، ط المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ٢٠١٣م.

١٧-حروف المعاني والصفات، الزجاجي، تح/ علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى، ١٩٨٤م.

١٨-دلائل الإعجاز، الإمام/عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة - دار المدني - جدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

١٩-السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تح/ أبو عبد الرحمن البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا، ط١، بدون تاريخ.

٢٠-سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تـح/ شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢١-سنن الترمذي، الترمذي، تـح/ أحمد محمد شاكر، وآخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ.

٢٢-شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تـح/ ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد ـ السعودية، ط الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢٣-شرح مصابيح السنة، ابن المَلَك، تـح/ لجنة مختصة من المحققين، ط إدارة الثقافة الإسلامية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ .

٢٤-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.

٢٥-صحيح ابن حبان: (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، أبو حاتم البُستي، تـح/ محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٣٣هـ .

٢٦-صحيح ابن خزيمة، تح/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت، بدون تاريخ.

٢٧-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تـح/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، ١٣٧٤هـ .

٢٨-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د/ جابر عصفور، المركز الثقافي العربي ـ بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

٢٩-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٠-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، (مطبوع ضمن شروح التلخيص)، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، بدون تاريخ.

٣١-في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، د/ نور الدين عتر، دار السلام ـ القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢-كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٣-كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

٣٤-الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، تح/ أحمد عناية، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.

٣٥-اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، تح/ لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر، سوريا، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

٣٦-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٧-المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى،١٤٢١هـ.

٣٨-مختار الصحاح، الرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

٣٩-مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ الهند، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٤٠-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي القاري، دار الفكر ـ بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤١-المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤١١م.

٤٢-مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة العالمية ـ القاهرة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٣-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ.

٤٤-معاني القرآن، الفراء، تح/ أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر، ط الأولى، بدون تاريخ.

٤٥-معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٦-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر ـ دمشق، ١٣٩٩هـ.

٤٧-المفاتيح في شرح المصابيح، المُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، ط دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

٤٨-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط الثانية،١٣٩٢هـ.

٤٩-الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح وشرح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة، بدون تاريخ.

ثَبَت الموضوعات

الموضوع	ص
الملخص باللغة العربية.	٣٧١
الملخص باللغة الإنجليزية.	٢٧٢
مقدمة.	٣٧٣
مهاد نظري: تحرير المصطلح، والدلالات البلاغية للمشاكلة.	٣٧٦
أولًا ـ تحرير المصطلحات.	٣٧٦
ثانيًا ـ الدلالات البلاغية للمشاكلة.	٣٧٧
المبحث الأول ـ الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترغيب.	٣٨١
المبحث الثاني ـ الدلالات البلاغية للمشاكلة في مقام الترهيب.	٤٠٥
الخاتمة.	٤٢٣
ثَبَت المصادر والمراجع.	٤٢٥
ثَبَت الموضوعات.	٤٣٠